

الاعتبارات التخطيطية والتصميمية للمدن التاريخية القديمة العربية

حالة دراسية (مدينة كربلاء)

د. عبد الجليل ضاري السعدون / جامعة واسط / كلية التربية / قسم الجغرافية

د. سهاد كاظم عبد الموسوي / وزارة حقوق الانسان

المستخلص:

لقد هبت رياح التغيير على المناطق التاريخية بالمدينة العربية والعراقية الذي بدا إيجابيا تحت شعارات التطوير والتحديث ولكن ذلك أدى إلى تعرض المركز والمناطق التاريخية بالمدينة العربية في التسعينات وما تلاها إلى فوضى عمرانية بسبب غياب القوانين العمرانية بالمدينة القديمة، مما فسح المجال للقطاعين العام والخاص للقيام باجتهادات فردية في مجالات الهدم وإعادة البناء أو في مجال الترميم والتحديث أو حتى في مجال إعادة التوظيف لمباني المدينة القديمة. وهدفت تلك التدخلات غير مدروسة إلى تحقيق الربح المادي حتى ولو كانت النتيجة هي الإساءة والتشويه إلى التراث العمراني على مستوى المدن القديمة والتاريخية التي يجب الحفاظ عليها وتطويرها ومن أبرز الأمثلة على ذلك حالة الدراسة مدينة كربلاء.

Abstract:

he winds of change on the historic districts the city's Arab and Iraqi, who seemed Iijayba Under the banner of development and modernization, but that led to the present status and historical areas in the city Arab in the nineties and subsequent to the chaos of construction because of the absence of laws of urban old city, thus allowing for both the public and private sectors of the jurisprudence of individual in the fields of demolition and reconstruction or in the field of restoration and modernization or even in the field of re-employment of older buildings in the city. The aim of these interventions, others thought to make a profit even if the material is the result of abuse and distortion to the level of architectural heritage and historical ancient cities which must be preserved and developed, and the most prominent examples of this case study city of Karbala.

المقدمة:

تحتل قضية التخطيط للمدن القديمة والتطوير الحضري لها مكانا متقدما في سياق القضايا التي تهم دول العالم، لما لهذه القضية من أهمية تنبع من قيمة التراث ذاته، فالتراث هو ذلك السجل الخالد الذي يحفظ تاريخ الأمم والشعوب، والدليل الواضح على تقدم الحضارات، وهو كذلك المعين الذي تستقي منه الأجيال اللاحقة ثقافتها وخصائصها، وبمعنى اعم واشمل فان الحفاظ على الوسط التاريخي للمدينة يعني الإبقاء على ما تتضمنه من قيم عمرانية، وتاريخية، وأثرية، واجتماعية، واقتصادية، وسياسية، حيث أن الوسط التاريخي لأي بلد يتكون من مجموع عناصر التراث الحضاري، وخاصة المعماري منها، فالمناطق التاريخية لأي مدينة تعتبر جزءا من الثروة الوطنية

لهذا البلد، وخاصة من الناحية الاقتصادية إذا تم استغلالها لأغراض السياحة. من هنا تأتي أهمية التطوير والحفاظ على الوسط التاريخي للمدن، وضرورة العمل على حل مشاكله التي تهدده وتتنذر باندثاره وذوبانه وسط التطور العمراني حوله. لتي تستحقها من أجل إيجاد الحلول الملائمة للحفاظ على طابعها التاريخي سواء العمراني، أو الاجتماعي، والاقتصادي، وحمايتها من الدمار والإهمال.

مشكلة البحث :

لم تحظ مدينة كربلاء في اغلب الدراسات السابقة في هذا المجال بدراسة تحليلية بوصفها مدينة تاريخية قديمة اذ اكتفت بالتوصل الى المفردات والأسس العمرانية، وهنا يمكننا دراسة الابعاد التخطيطية من خلال التعرف على المفاهيم العمرانية والتصميمية الاجتماعية والحضرية لتخطيط المناطق التاريخية القديمة، باعتبار ان مدينة كربلاء اليوم لاتعبر عن معطيات الحدث التاريخي الكربلائي، فضلا من التغيرات التي طرأت على بيئة المدينة في الوقت الحاضر.

اهداف الدراسة:

يهدف البحث إلى :

- 1_ التوصل للملامح العمرانية لتخطيط المدن التاريخية القديمة العربية بطابعها المميز والطرز العمرانية المميزة ذات الهوية التي تعد شبه موحدة للمدينة العربية.
- 2_ إبراز المفاهيم التخطيطية التي اعتمدت في تخطيط المدينة العراقية التاريخية لمدينة كربلاء للوصول إلى حالة التحديث والتطوير العمراني للمدينة .

فرضية البحث :

في ضوء العلاقة ما بين مشكلة البحث وهدفه تمت صياغة فرضية البحث وهي ان مسألة الحفاظ والتطوير من المواضيع المهمة التي شغلت المخططين ولاسيما المهتمين بالمحافظة على المدينة التاريخية القديمة ما تزال لا تعبر عن الأطر والمفاهيم التخطيطية والتصميمية التي يمكنها من خلالها الوصول إلى حالة التحديث العمراني مع المحافظة على البيئة العمرانية لمدينة كربلاء في الوقت ذاته.

منهجية البحث :

اعتمد البحث بينائة على منهجية التحليل التخطيطي، وإجراء دراسة تحليلية للمشروع التطويري في المدينة واستقراء مدى فاعلية وأهمية المفاهيم التخطيطية في المدينة القديمة والأحياء الجديدة.

1_ المبحث الأول : تخطيط المدن القديمة:

1_ اتمهيد:

ان تخطيط المدن هو انعكاس وتعبير عن العلاقات بين الأشخاص والعناصر المادية (الأبنية) لتلك المدينة، وان هذه العلاقات علاقة متبادلة بين الإنسان والبيئة العمرانية، اذ تعكس الحضارة والذهن البشري من منظوره

التاريخي. لذا يهتم التخطيط العمراني في الحفاظ وتطوير للمناطق التاريخية وذلك بما تحتويه من معالم أثرية ودينية مختلفة وذلك بدراسة وتحديد طرق الحفاظ وتأهيل هذه المناطق لما لها من أهمية كبرى ولأنها تحمل تاريخ الأمم والشعوب، وحضارتها، وثقافتها، والأحداث التي مرت بها تلك الأمم .

١-١-١ عوامل نشأة المدن التاريخية القديمة:

إن المدن وعلى مر العصور لم تنشأ، لم تتطور بشكل عفوي، بل كان هذا النمو و هذا التطور نتيجة لمجموعة من العوامل الإستراتيجية المتعلقة بالموقع، والموضع، وعوامل اقتصادية أخرى لها علاقة بالإنتاج، كما يوجد هناك عوامل سياسية لها علاقة بالتقسيم الإداري حيث أن موقع أي مدينة يعد مهما لازدهار ونمو هذه المدينة، لان المدينة تتفاعل مع المناطق المحيطة بها ولان زيادة الإنتاج في المدينة يؤدي إلى انتعاش الحركة الاقتصادية، وكذلك إلى رفع مستوى الحياة الاجتماعية داخل هذه المدينة. وتمثل المدن شكلا من اشكال الاستقرار يرجع الى بدايات الحضارة وهي ظاهرة متطورة ومتغيرة ويتوقف شكلها وطبيعتها على الحضارة والمرحلة الحضارية التي تنتمي اليها. (الطائي ، ايداد ، ٢٠١٠، ص١٧). لقد نشأت المدن في مكان وموقع وفر لكل واحدة منها إمكانية الاتصال بسهولة بمصادر الماء، والغذاء، والكساء، ومواد البناء، وبنيت هذه المدن لأغراض منها تجارية، أو صناعية، أو حربية، أو دينية أو سياسية... الخ. بقيت المدن محدودة في أحجامها وأشكالها، ومحافظة على توازن بين سكان الحضر، والأرياف نتيجة عوامل عدة منها الاجتماعية، والصحية، والاقتصادية ووسائل الاتصال بين المناطق . تركت الثورة الصناعية بصماتها على المدن نتيجة للمردودات التقنية، والاجتماعية، والثقافية التي أحدثتها، فتغيرت أحجامها وأشكالها، فأصبحت عامل جذب للمناطق المحيطة بها، مما أدى إلى توسع مساحاتها، ومع التطور الهائل للصناعة والمواصلات والتجارة، تحولت هذه المساحات من أماكن للتبادل التجاري إلى أماكن للإنتاج والاستهلاك، فأصبحت مراكز للسلطات السياسية وعواصم سياسية.

يرى الباحث بأنها المنطقة التي كانت تتميز ببيئة عمرانية متوازنة شيدت في عصر تاريخي محدد، بحيث تشكل تراثا يحفظ جذور الحضارة وسماته ، وتعكس أحداث العصر الذي واكبته، وتعد هذه البيئة نتاجا لقيم ومفاهيم وأعراف وفلسفة تخطيطية تصل هذا العصر التاريخي بما قبله بتجانس وتكامل واضحين.

١-١-٢ تكون المدن التاريخية القديمة وأهميتها:

لقد تكونت المناطق التاريخية القديمة نتيجة البناء والهدم وإعادة البناء التي قام بها الإنسان، والأمم من مختلف الثقافات والأديان على مر التاريخ الطويل، والتي تعد شاهدا حيا على تلك الحياة بنمطها الاجتماعي، والاقتصادي، والسياسي، حيث إن العناصر المعمارية القائمة بقيمتها العالية تعبر عن ذلك النمط الحياتي الذي كان سائدا. إن المناطق التاريخية التي لازالت تحتفظ بقيمتها التاريخية العالية، ونمطها المعماري المميز، هي المناطق التي لم تتعرض للهدم والخراب سواء الناتج عن الكوارث الطبيعية والحروب، أم من قبل الإنسان في الوقت الحاضر، وذلك بالهدم لإقامة مباني مكانها، وعلى الطراز الحديث، مما أوصلها إلينا حتى بدا الاهتمام بها، والحفاظ عليها هدفا ساميا لدى الكثير من الأمم، والمؤسسات، والمختصين. وتعكس كل عمران كل مدينة ضرب من المفاهيم

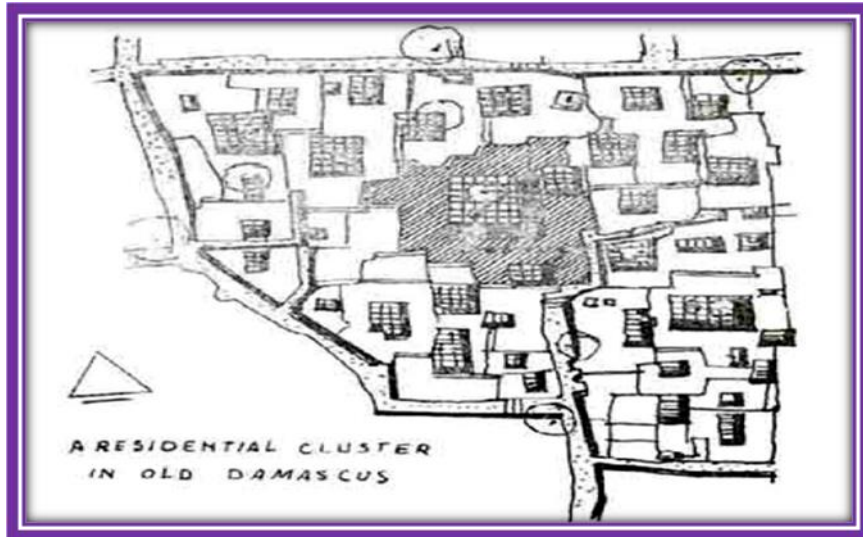
الاجتماعية والدينية والروحية المتمثلة في نمط حياتهم ومعمارهم ومدى تأثرهم بحضارات الأمم الأخرى والعمران العربي يتباين في نمط البناء من حيث الحجم والعناصر فكل منطقة لها مقومات هندسية وطرز بنائية خاصة بها تتناسب وطبيعة المنطقة المناخية والسياسية والحضارية والاجتماعية. (www.alhziyyemen، ٢٠٠٩، الشكل (١) يمثل مدينتين من المدن القديمة والتاريخية التي تمثل تجسيد لحضارة هذه المدن من خلال تخطيطها العمراني المميز.



شكل (١) يمثل المناطق التاريخية لكل من المنيا في مصر وصنعاء في اليمن

م/ ٢٠٠٩، www.alhziyyemen.

وان تحقيق الانتماء العاطفي بين السكان ومدينتهم يكون بارتباطهم ببعض اثناء ممارستهم للنشاطات الاجتماعية والثقافية والفنية والتي تحقق الاحتياجات المادية والروحية لهم على حد سواء ،اي ان احد اهم الأسباب لتكون المدن العلاقات الإنسانية القوية بين السكان التي ظهرت من خلال العلاقات الحسية بين المباني والفراغات التي تتكون منها المدينة (عبد الباقي، إبراهيم، ١٩٦٨، ص ١٣) الشكل (٢).



شكل (٢) مجموعة سكنية في مدينة دمشق القديمة فيها الملامح الحضارية للمدينة العربية

م/ (عبد الباقي ، إبراهيم، ٤١ ص) .

وان الأهمية التي شكلت مفهوم تكون ونمو المدن القديمة واستمرارها هي ثلاث مجموعات من العلاقات:

أ- علاقات الانسان بالمكان وهي التي تعين له حدوده وصورته المستبطنة ومختلف احتمالات التحرك والاجتماع والانفصال التي توفرها .

ب- وعلاقات الانسان بالزمن ثم سجله الخاص وإيقاعات الحياة والعمل وتحقيق الذات والموت .

ج- وعلاقات الانسان بالإنسان ، ثم مجموعة شبكات الصلة والعلاقة بين أشكال التّـمّثل والتماثل وبين مفاهيم الفرد والمواطن والعشيرة والجماعة والطبقة، او بين الإيديولوجيات .

ما تتخصص به المدينة، أية مدينة، هو الامكانية التي توفرها لمضاعفة المبادلات والعلاقات بجميع انواعها، وهكذا تتبدل بنيات المدينة وعلاقات سكانها بالحيز المكاني ارتباطاً بالتحوّلات الناجمة عن انماط التبادل نفسها. وعما يمتلكه الناس من وسائل اتصال وتصورات عن انفسهم وعن الزمن (غليون، ١٩٨٦، ص ٥٠).

ونستنتج إن المدينة هي نمطاً في العيش، وشبكة للعلاقات الإنسانية المتعددة بين القيم والإمكانات المتوفرة للأفراد وللجماعات، لا يمكن في الحقيقة فهمها خارج السياق التاريخي على زيادة الوعي لأهمية هذه المناطق، وضرورة الحفاظ عليها وتأهيلها، وذلك بتوفير الهيئات، أو المؤسسات اللازمة للقيام بهذه المهمات، وسن التشريعات الضرورية، وتوفير الموارد اللازمة لإنجاز هذه الأعمال.

المتغيرات العمرانية والتخطيطية والتصميمية (للمناطق التاريخية) لقد احتفظت المدن التاريخية ولفترة طويلة بمستوى عال من الاتزان الطبيعي بين الهيكل الحضري الذي اتسم بخصوصيته التاريخية والبنية الوظيفية والديموغرافية له اذ اقتصر بعض المتغيرات على بعض التحويرات العمرانية والوظيفية لتلبية المتطلبات الحضرية المتغيرة التي تهدف إلى بعث وإعادة الحياة الحضرية بكل إبعادها العمرانية والاجتماعية والاقتصادية والحضارية.

المبحث الثاني: النظم التخطيطية والتصميمية للمدن القديمة التاريخية:

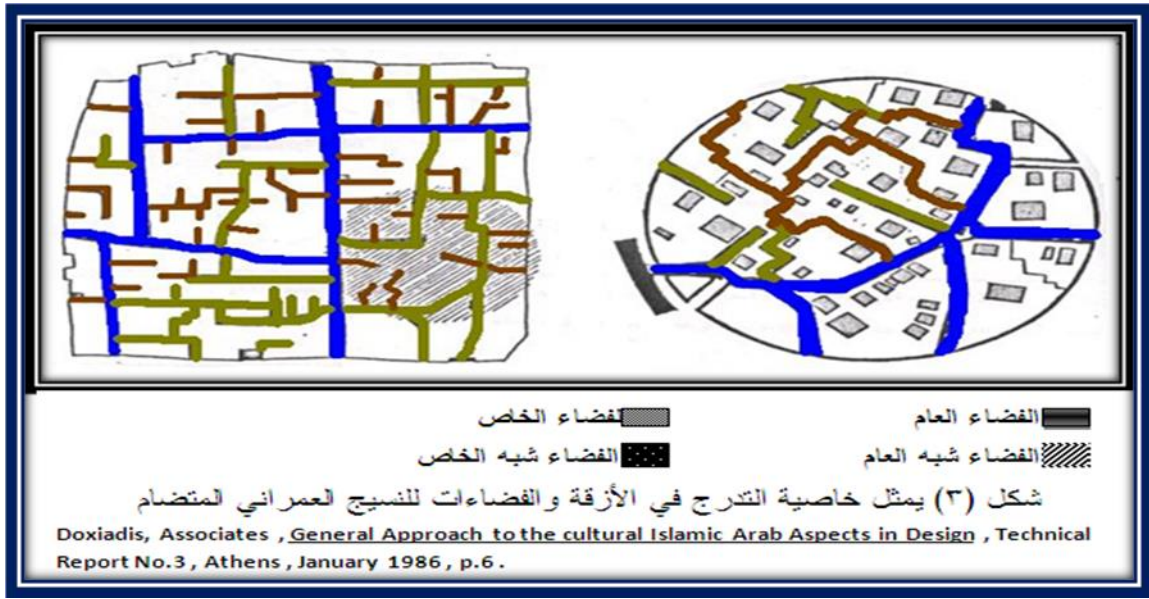
٢-١: تمهيد:

لقد أشارت العديد من الكتب والمصادر الى ارتباط العمارة بمحيطها التاريخي والاجتماعي والحضاري وصولاً إلى التعايش في محيط الحياة الاجتماعي والعمراني على مستوى الانسان ومستوى الابنية من خلال النظم التي استطاعت ان تصنع النتاجات العمرانية والثقافية من خلال الشكل والمضمون للمدينة القديمة مدة زمنية معينة وفيما ياتي بعض النظم التخطيطية والتصميمية للمدن القديمة والتاريخية :

٢-١-١: النسيج الحضري للمدينة:

استخدم نمط النسيج المتضام حيث ساعد اتجاه الحياة التي فرضتها الظروف البيئية و الطبيعية و الاجتماعية على تأكيد هذا المظهر التخطيطي للمدينة في العصور الإسلامية .ويمكن تعريف النسيج العمراني المتضام بأنه نمط عمراني يتم فيه تجاور تلاصق كتل المباني المعمارية وهي تمتاز بعامل المرونة والتكيف في تخطيطها وتمتاز أيضاً بخصوصيتها العالية وهويتها المميزة لها. لذلك تمتاز المدينة التراثية بالتدرج في نسيجها الحضري و على جميع المستويات (كمدينة والنسيج التراثي وصولاً إلى المناطق السكنية وعلى مستوى الوحدة السكنية

أيضاً. ويصل هذا التدرج إلى داخل الفناء الداخلي للبيت داخل النسيج التراثي حيث تتوزع حوله فضاءات الدار وتعطي شعوراً بالنظام المتدرج (كمونة، حيدر، ١٩٨٨، ص ١). ويلاحظ في النسيج التقليدي إن الكثافة الحضرية البصرية هي السمة المميزة لهذا النسيج إما الكثافة السكانية فتكون عرضة للتغير والتذبذب في المراكز التاريخية للمدن. يشمل هذا النسيج علاقة الأبنية بعضها ببعض و علاقة هذه الأبنية مع الفضاءات الحضرية المحيطة وشبكة الحركة ويكون هذا النسيج على أسس المقياس و نسبة الكتلة إلى الفراغ. ويمتاز النسيج المتضام للمدينة العربية القديمة بوجود منطقة مركزية تحوي الجامع كنقطة في المركز، وتتجه الفعاليات نحو المنطقة المركزية عن طريق مستويات حركة مختلفة ومتدرجة شكل (٣)



٢. ١. ٢: أنماط الشوارع:

نظام الشوارع (الأزقة والدروب) وتعد من الخصائص التخطيطية والأداة التنظيمية المؤثرة في شكل المدينة العربية الإسلامية، لما تتصف به من طبيعة النظامية (systematic nature) المؤثرة في الإطار العام الفيزيائي (المادي) المشكل لها. حيث ساعد ضيق الشوارع بالمدن القديمة إلى قلة تعرضها لأشعة الشمس المباشرة خاصة مع ارتفاع المباني والتنوع ما بين الشارع والحارة والزقاق ولكل منها وظيفة خاصة، إن أهم مظاهر التخطيط العمراني للمدينة القديمة الشوارع الضيقة مع الأفنية الداخلية المكشوفة وأن ضيق الشوارع يمنع حدوث ذلك من خلال التعرجات والانحناءات وإتاحة مناطق مظلة. لقد اتبع المعماري وسائل لتغطية الشوارع التجارية واستخدم الساباطات أو البروزات لحماية الشوارع والمحلات التجارية من حرارة الشمس والمطر، وشاع هذا الأسلوب المعماري بالمدن التقليدية وعرفت السقائف كسقيفة رضوان في سوق الخيامية، واستخدم في تسقيف الشوارع الأسقف الخشبية كما في القاهرة أو بالأقنية كما في الأندلس وحلب. وبذلك فإن الأزقة والطرق العامة تختلف في تركيبها وخصائصها لمكوناتها وعلاقاتها عن الطرق الخاصة، وذلك باختلاف السمات والخصائص، وخصائص العلاقات بين عناصرها المختلفة، بشكل يعكس ويحدد من هويتها من خلال العلاقة ما بين الكتلة

والفضاء التي تعكس العلاقة ما بين الفرد والمجتمع (www.Faculty of Engineering, Al-Azhar University).

٢ ١ ٣: الخصوصية^١: تعد الخصوصية من النظم والأسس المهمة التي أثرت بشكل رئيس في تكوين البيئة العمرانية في المدن العربية القديمة، حيث أنها تؤثر ابتداءً من أجزاء العنصر العمراني الواحد ومن ثم العنصر بأكمله وعلاقات العناصر فيما بينها منتهية بالنسيج الحضري بأكمله. فضلاً عن تأثيرها المباشر في العلاقات الاجتماعية وتداخلاتها وترابطاتها يشعر كل فرد أو مجموعة بالحاجة إلى قدر من الخصوصية في متطلبات الحياة بمسؤولياتها ومكان السكن هو أحد أهم هذه المتطلبات.

وتظهر الخصوصية الفردية بوضوح من خلال نمط تصميم الوحدة السكنية والذي يتسم بما يأتي:

- ١_ توجيه الوحدة السكنية نحو الداخل بانفتاحها على الفناء الداخلي .
- ٢_ انغلاقها عن الخارج بتقليل او انعدام وجود النوافذ المطلة على الزقاق او الشارع عدا الشناشير التي يتم من خلالها رؤية المارة دون - الانكشاف عليهم بينما تفتح نوافذ الغرف على الفناء الداخلي لاحظ الشكل ٤ .
- ٣- انكسار مدخل الوحدة السكنية و ميلانه للتأكيد على عدم كشف الفعاليات الداخلية للمنزل امام أنظار الغرباء في الخارج (كمونة، حيدر، ١٩٨٨). الشكل (٤) يمثل البروزات للشناشير والفضاءات الداخلية في البيوت في المدن القديمة وخصوصا التاريخية.



شكل (٤) خصوصية البيت التقليدي العراقي

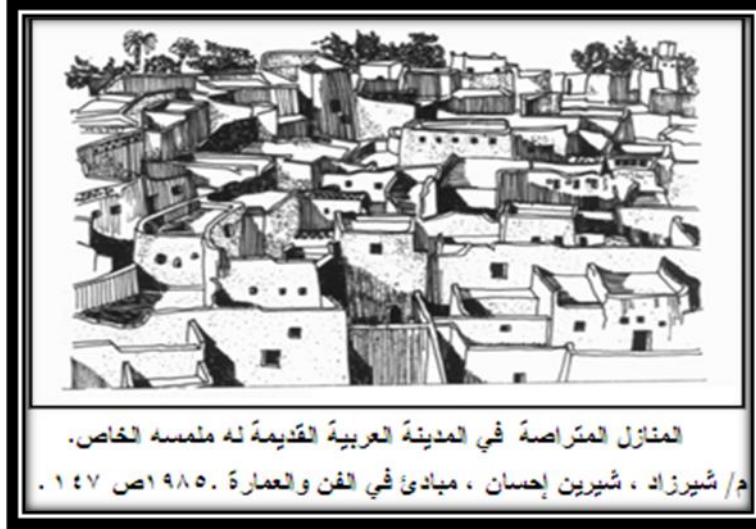
٢ ١ ٤: الاحتوائية :

الاحتوائية تعني عمرانياً، اقتراب الناس والأبنية بعضها من بعض، هذه الاحتوائية في المدينة الإسلامية تعبر عن رؤية حضارية تعني التوجه للداخل، لتعبر بذلك عن نمط حضاري مميز، وإن نمط التجمع و التكتل المكاني للمجاميع السكنية إلى محلات متجانسة تتأثر بجملة من العوامل منها العناصر الاجتماعية - الحضارية وعنصر الأمان والهجرة ونمط وطبيعة العائلة و المستوى الاقتصادي ووجود مرقد أو ضريح في المدينة كما في مدن القديمة ذات الطابع الديني ويمكن ان تعبر عن ميزتين أساسيتين (الدوري ، فراس، ١٩٨٨، ص٣٦):

^١ الخصوصية والاحتوائية مصطلحات تخطيطية يتناولها المخططون والمصممون عند البحث في تخطيط المدن.

١_ اقتراب أفراد المجتمع بعضهم من بعض في سبيل تحقيق الوحدة الاجتماعية و تهذيب السلوك و التي يحث عليها الإسلام ضمن مفاهيمه الثقافية .

٢_ يؤدي الاقتراب الى زيادة الإدراك والتفاعل بين الناس والعناصر الفيزيائية (الأبنية) .شكل(٥) يمثل خاصية البيوت المتراسة والمتضامة التي تعني الاقتراب المكاني والاجتماعي بين الوحدات السكنية في المدينة العربية القديمة التاريخية.



ونستنتج من ذلك إن تتميز الطبيعة التكوينية للبيئة التراثية بالتجانس والتالف الحسي، فالترابط المستند إلى الوحدة والمفاهيم القيمة أدى إلى خلق تقارب في فضاءات المدينة، بكيفية تتلاصق فيها الأبنية وترابط في حركة مستمرة ومنتظمة تمنح الفضاءات المحيطة صفات شكلية محددة ذات أبعاد إنسانية تعمل كنظام موحد متماسك. إن هذا التشكيل المورفولوجي المتماسك الذي تتميز به البيئة الحضرية التراثية جاء استجابة لمتطلبات روحية دينية من جهة، ولمتطلبات إنسانية اجتماعية تعلقت بالظروف الطبيعية التي تتميز بها المدينة مما أعطى الهيئة الحضرية بعداً إضافياً لطابعها الخاص الذي تجلى من خلال مجالات حضورها.

٢_٢ أسباب تدهور المناطق القديمة:

يرجع تدهور المباني التاريخية إلى أسباب كثيرة أهمها:

أ - أسباب اجتماعية: تغير التركيبة الاجتماعية وارتفاع الكثافة في الأحياء السكنية تؤدي إلى ضعف الجيرة وعوامل تساعد على تكوين الجريمة والسلوكيات غير الصحيحة وانعدام عامل المراقبة الذاتية للحي من قبل السكان.

ب -أسباب بيئية، طبيعة التصميم: والدور الذي لعبه الحوش سابقا وغيابه حالياً، مما افقد البيوت القديمة رونقها ودورها البيئي فلجأ العديد من الساكنين فيها إلى سقفها، بالإضافة إلى ملوثات البيئة الأخرى وتأثيراتها السلبية.

ج -عوامل اقتصادية: وهي زيادة الأهمية التجارية وزيادة سعر الأراضي الذي يؤدي إلى هدم المباني التاريخية وإقامة المراكز التجارية مكانها.

د -الهجر: ان هجر أي مبنى يؤدي إلى حرمان المبنى من النظافة اليومية، ويجعله عرضة لنمو النباتات، والفطريات، والحشرات وكذلك تراكم الغبار مما يسبب في تدهوره وخاصة إذا استمر ذلك فترة طويلة، فتكون النتيجة سيئة وربما تؤدي إلى خراب وهدم المبنى، وللحجر أسباب كثيرة منها تفتت الملكية، وكبر العائلة وغيرها. هـ -تدهور ناتج من الأجهزة الحكومية ومن أمثلة ذلك: تضارب بين الأجهزة المشرفة على المباني التاريخية مثل هيئة الآثار والمؤسسات الأخرى وقيام بعض أجهزة الدولة بتأجير المباني الأثرية لتؤدي وظائف لا تتماشى مع وظائفها الأصلية. وعدم كفاية رعاية وصيانة وتسجيل المباني التاريخية والأثرية.

و -إساءة الاستخدام: إن عدم استخدام المبنى بالطريقة الملائمة يؤدي إلى تدهور حالته. (العاني، محمد قاسم، ٢٠٠١، ص٤٦)

فضلا عما ذكر إلى ما ذكر سابقا فهنا يمكن الإشارة وبشكل خاص إلى تدهور مراكز التجمعات العمرانية، لقد صاحب عملية التحضر توسع واضح للمناطق المبنية، وهذا نتج عن كثرة البناء خارج هذه التجمعات وفي محيطها، تكونت منطقة النواة من أبنية قديمة وطرز تقليدية، المساحات كانت صغيرة والمباني في غالبيتها مكونة من طابق واحد.

٢-٣ طرق الحفاظ على المدن القديمة التاريخية:

تعد المدن القديمة في أي مدينة ثروة كبيرة تمثل قيمة حضارية على مستوى الحضارة البشرية، وتعد صيانة وحماية هذه الثروة من الخطوات والوسائل الهامة للحفاظ على قيمتها الحضارية. والدعوة إلى حماية المباني الأثرية والتاريخية وإصلاحها وترميمها وتجديدها لا يمكن أن تنفصل عن الدعوة إلى الارتقاء بالبيئة التي تقع بها هذه المباني حيث أن الارتقاء يتسع ليشمل الجانب الاجتماعي والاقتصادي للسكان وأنشطتهم، إن طرق التعامل مع المباني الموجودة في المناطق التاريخية تختلف نظرا لوضع المبنى المراد التعامل معه حيث يمكن تقسيم ذلك إلى ما يلي (علام، احمد خالد، ١٩٩٧، ص١٦-٤٦):

1-الإزالة وإعادة البناء: يتم في حالة كون المبنى سيئا، ويوجد به خلل لا يمكن إصلاحه، أو أن إصلاح هذا الخلل ذي تكلفة عالية، وبذلك تصبح عملية الإصلاح غير مجدية، لذلك يتم السماح بإعادة البناء على نفس خطوط البناء ومراعاة النواحي الفنية والجمالية.

2-الإصلاح: هذا يتم في حالة كون المبنى في حالة إنشائية متوسطة حيث يمكن إصلاحه بنصف تكلفة المبنى السيئ، وهنا يتم تصميم وتنسيق المواقع المحيطة بهذه المباني، وكذلك الساحات والميادين العامة.

3-الترميم والتجديد: تهدف هذه الطريقة إلى إعادة المباني إلى الطابع المميز والتاريخي والأثري، وذلك بأعمال الترميم الإنشائية، وكذلك أعمال التشطيب الداخلي والخارجي للواجهات، وتشمل أيضا أعمال الصيانة المطلوبة الدائمة للمحافظة على المبنى في حالته الأصلية.

4-الحماية: إن حماية المبنى التاريخي أو الأثري تعني حماية الصورة البصرية العامة للمنشآت المحمية، وكذلك حماية البيئة الاجتماعية والاقتصادية المحيطة به.



5-الحفاظ :وهي الحفاظ على المباني والنسيج والطابع المعماري الخاص بالمنطقة التاريخية بوصفها رمزاً تاريخياً وقيمة أثرية يجب المحافظة عليها في صورتها الأصلية، ويشمل الحفاظ على الهيكل الاجتماعي والاقتصادي بجانب الهيكل العمراني.

6-إعادة الاستعمال :تهتم هذه بسياسة إعادة توظيف المباني التاريخية في استعمالات جديدة تلائم التطور، وتحافظ على الأثر وتضمن استمرارية صيانتها والمحافظة عليه بصورة علمية.

7-إعادة التأهيل :تهتم بالمباني التاريخية ومحيطها العمراني، وذلك من خلال رفع مستوى المنطقة الاقتصادية والاجتماعي.

8-الصيانة :تتعامل مع التغير في المجالات العمرانية، والاجتماعية، والاقتصادية، والتكنولوجية لضمان استدامة واستمرار تكيف المنطقة مع التغير السريع والمستمر فيها، وتهدف إلى استمرارية الإحساس بالقيمة التاريخية، والتأكيد على شخصية المكان والمجتمع المحلي.

المبحث الثالث : مدينة كربلاء " حالة دراسية "

٣ اتمهيد:

مركز مدينة كربلاء (المدينة القديمة) تضم مرقد الإمام الحسين (عليه السلام) وأخيه العباس (عليه السلام) اللذين كانا النواة الأولى لنشوء المدينة القديمة ومركزها حيث بعد توسع مدينة كربلاء بقيت المدينة القديمة بمثابة القلب والمركز الديني والتجاري والثقافي لها. ومن خلال هذا سيتم التطرق للمراحل التاريخية والحضرية التي مر بها مركز مدينة كربلاء (المدينة القديمة) والدراسات والمشاريع الخاصة التي أجريت لتطوير مدينة كربلاء ومركزها.

٣-١ نبذة تاريخية عن مدينة كربلاء:

يبدأ تاريخ كربلاء الحقيقي من واقعة الطف التي استشهد فيها الإمام الحسين (عليه السلام) سبط رسول الله (ص) وسيد شباب أهل الجنة سنة ٦١ هـ إذ أصبحت كربلاء بعد هذه الواقعة من المدن الإسلامية المقدسة والحواضر المعروفة، ولهذه المكانة الدينية أصبحت مركزاً للسياحة الدينية ليس على نطاق العراق حسب بل على النطاق العربي والإسلامي وحتى العالمي، فضلاً عن مكانتها الخاصة بالنسبة للسياحة الثقافية والأثرية والمعمارية حيث يحكي المرقدان الشيء الكثير عن تاريخ هذه الأمة والحقب التي مرت عليها ويمثلان بحد ذاتهما تحفة أثرية ومعمارية حيث يعدان من التحف القلائل في العالم العربي والإسلامي (http://www.karbaplan).

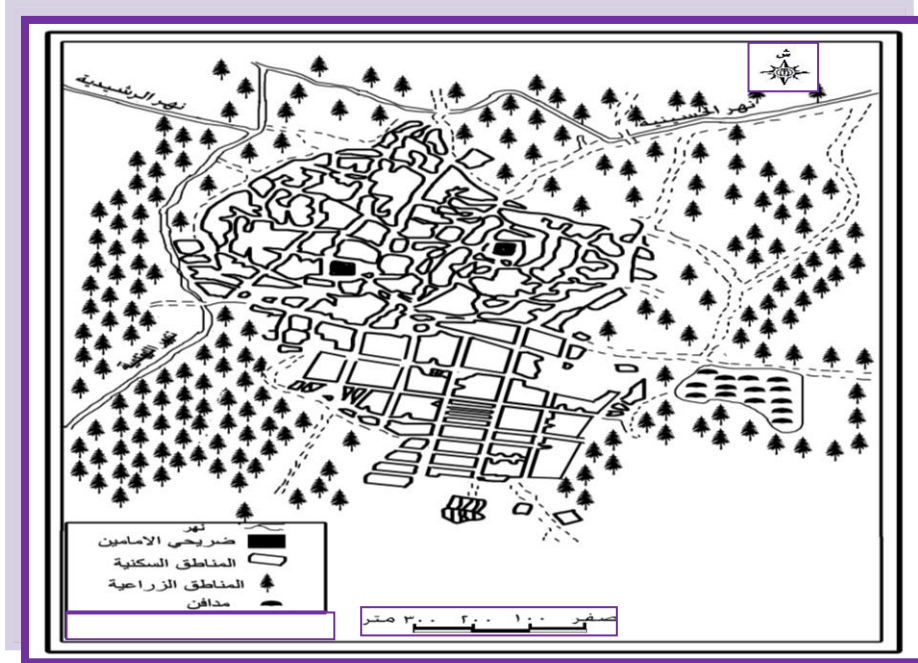
٣-٢ التطور التاريخي والحضري لمدينة كربلاء ومركزها (المدينة القديمة):

مرت مدينة كربلاء من تاريخ استشهد الإمام الحسين (ع) وحتى الوقت الحاضر بمراحل مورفولوجية عديدة يمكن تقسيمها إلى المراحل الآتية :

٣-١-٢ المرحلة الأولى (مرحلة النشوء) ٦٨٢ م - ١٨٦٩م:

بعد استشهاد الإمام الحسين (ع) بيومين سنة ٦١ هجرية / ٦٨٢ ميلادية وضعت جماعة من بني اسد بعد دفن الإمام الحسين (ع) بعض المعالم على قبره وكتب الإمام زين العابدين (ع) على هذا القبر بعد حضوره إلى مراسم الدفن بالإعجاز ، هذا قبر الإمام الحسين بن علي الذي قتل عطشاً وأخذ الزوار من ذلك التاريخ يؤمنون القبر الشريف (<http://www.karbaplan>). وفي سنة ٦٥ هجرية / ٦٨٦ ميلادية بنيت على القبر قبة من الآجر والجص وبني حوله عدد من الدور وبذلك تكون تلك السنة بداية حجر الأساس لمدينة كربلاء الحالية. (القرغولي، مصطفى، ٢٠٠٤، ص ٩٠).

وفي سنة ١٠١٣ هجرية / ١٦٠٤ ميلادية احتوت المدينة على أربعة آلاف بيت وكانت اسواقها مبنية بناءً محكمًا بالآجر مليئة بالسلع التجارية ، وفي مسار تطورها تكاملت المدينة القديمة عام ١٠١٤ هجرية / ١٦٠٥ ميلادية بحاراتها وازقتها الضيقة التي تتصل بصحني المرقدين بعد ان ضاقت بسكانها وهدم سورها ، فانتسعت وأصبحت المدينة على شكل بيضوي يحيط بمنطقة المرقدين من جهة والمخيم من جهة أخرى .



خارطة رقم (١) المرحلة العمرانية الاولى (النشوء) (م/ مؤيد جواد بهجت ، ص ٣٩. عن الجميلي، ص ٦٤) ولكن سرعان ما أعيد بناء السور عام ١٢١٧ هجرية / ١٨٠٢ ميلادية على شكل دائرة بستة ابواب رئيسة سميت باسم المحلات القريبة منها، اما قبل ذلك إي قبل ١٢١٧ هجرية فقد كانت كربلاء تحتوي على ثلاثة إطراف فقط، هي محلات آل فائز، وآل زحيك، وآل عيسى (طعمة، ٢٠٠١، ص ١٥). إذا يمكن القول إن المدينة لم تعرف العمران إلا خلال القرن الثالث الهجري حيث شيدت الأسواق والدور المتراسة وتعد هذه المرحلة بداية نشوء المدينة التي شيدت للأسباب الدينية.

٣_٢_١ المرحلة الثانية (بداية التوسع) ١٨٧٠ م - ١٩٤٧ م :

توسعت مدينة كربلاء عمرانياً سنة ١٨٧٠م وامتدت نحو الجنوب بعد ان هدم سورها من جهة باب النجف في عهد الوالي مدحت باشا ، وبنيت المحلة الجديدة التي عرفت بأسم العباسية التي امتدت وتوسعت وانقسمت الى قسمين هما العباسية الغربية والعباسية الشرقية ويفصل بينهما شارع العباس، جاء هذا التوسع والتطور بما فيه تخطيط المدينة استجابة لنمو عدد السكان وتطوره وعدم كفاية المدينة للمتطلبات الوظيفية والخدمية لهم ، وتمثل التوسع بتطور محلة جديدة من خلال فرز الأراضي وتوفير الخدمات .(الأنصاري، رؤوف، ٢٠٠٦، ص ١٠٦) . مخطط (١).



وفي عام ١٩١٦ م فتح شارع قبلة العباس للمرة الأولى ممتداً من باب الصحن الشريف حتى المدينة ، فكان اول شارع مستقيم شق في المركز التقليدي للمدينة وارتبط بالجزء الحديث المضاف ذي النظام الشبكي المتعامد ، فهو اول دخول للنظام الخطي من مسارات الحركة في مركز المدينة التقليدي. (القرغولي، مصطفى، ٢٠٠٤، ص ٩٢).

وشهد مركز المدينة التقليدي في العام ١٩٣٥ م شق شارع الإمام علي الذي الذي يربط شمالي المدينة بجنوبها ، وشارع علي الأكبر الذي يربط صحن المرقدين ببعضهما. فكان هذان الشارعان أنموذجاً آخر للنظام الخطي الذي اخترق نسيج المدينة التقليدية في كربلاء . وحتى العام ١٩٤٧ م كان لمحطة القطار اثر في استقطاب توسع المدينة خارج حدود مركزها التقليدي .(الأنصاري، رؤوف، ٢٠٠٦، ص ١٠٦) توسعت المساحة المشغولة بالسكن ضمن التوسع الجديد للمدينة في هذه المرحلة وظهرت بعض الاستعمالات الإدارية فيه واستمرت الوظيفة الأساسية للمدينة متمثلة بالوظيفة الدينية القائمة على وجود المرقدين اللذين يعدان المولد والمحرك لمختلف النشاطات الاقتصادية والاجتماعية للمدينة.

٣_٢_١_٣ المرحلة الثالثة (التوسع) ١٩٤٨ م - ٢٠٠٤ م :

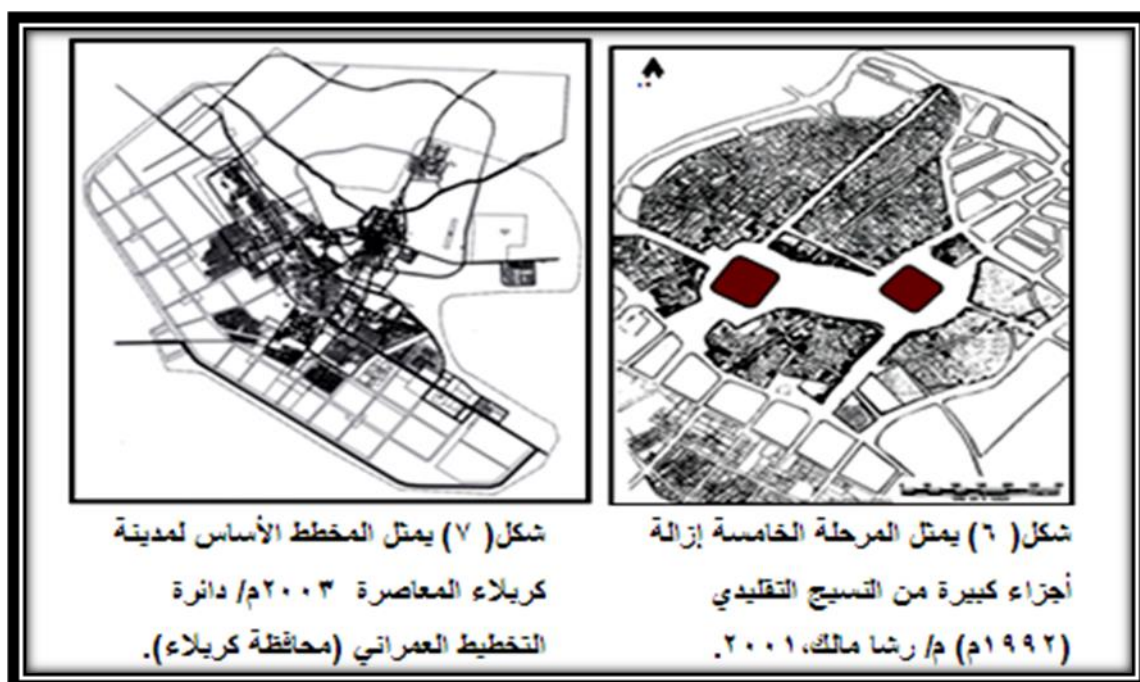
شهدت المرحلة الثالثة من مراحل تطور مدينة كربلاء عمليات إزالة للنسيج الحضري الكثيف في مركز المدينة متمثلاً بفتح الشارع المحيط بمرقد الإمام الحسين (ع) في العام ١٩٤٨م وتبعه في عام ١٩٤٩م شق شارع

الحسين (باب القبله) ثم المنطقة المحيطة بمرقد العباس (ع) في العام ١٩٥٥م. (القرغولي، مصطفى، ص ٩٣٢٠٠٤).

وهكذا بدأ توسع المدينة نحو خارجها يأخذ إبعاداً أخرى ويمدد زمنية قياسية ، إذ ازداد عدد السكان فيها وبنيت إحياء سكنية ومنشآت متعددة ، وازداد التوسع تدريجياً ليصل الى إضعاف مساحة المدينة القديمة التقليدية ، لاسيما بعد عام ١٩٦٨م إذ اتسعت المدينة باتجاه الغرب والجنوب (لكون شمالي وشرقي المدينة يتكونان من بساتين النخيل والأراضي الصالحة للزراعة) فضلاً عن التوسع في الفعاليات التجارية ونمو الفعاليات الصناعية وزيادة اعداد وسائل النقل وتحسين شبكة الطرق مما أدى الى زيادة أهمية المدينة بصفتها مركزاً دينياً وحضرياً. (نصر الله، رشا، ٢٠٠١، ص ٤٨) انظر الى الشكلين (٦ و ٧). اللذان يمثلان المرحلة الثالثة.

ففي سبعينيات القرن الماضي شقت المزيد من الشوارع خاصة بعد ان نفذت فكرة (تطوير) المنطقة القديمة (ما بين الحرمين الشريفين) من قبل هيئة التخطيط العمراني، عام (١٩٧٧م).

نتيجة لازدياد وتدفق مجاميع بشرية جديدة أخرى من القرى والأرياف وبعض المدن العراقية الأخرى بسبب الحرب العراقية الإيرانية سنة ١٩٨٠م، بلغ عدد سكان مدينة كربلاء سنة ١٩٨٥م ٥٤٧ ألف نسمة، بعد أن كان عدد سكانها سنة ١٩٧١م (١٠٢ ، ٢١٣) ألف نسمة اي بلغت نسبة الزيادة خلال ١٤ سنة ٨١%. وهذا يقتصر على المدينة وليس على أقيمتها ونواحيها كمحافظة. وفي شهر نيسان (أبريل) ٢٠٠٦م تم تشكيل لجنة هندسية في محافظة كربلاء مهمتها وضع الشروط الخاصة بمشروع التصميم الأساسي الجديد لمدينة كربلاء المقدسة لدعوة المكاتب الاستشارة الهندسية العراقية والدولية لتقديم عروضها لإعادة تخطيط المدينة وفق خصائصها ومزايتها الأصلية.



٣_٢ المشروع التطويري المقترح لمدينة كربلاء.

٣_٢_١: تمهيد

لما كانت مدينة كربلاء تعاني من مجموعة مشاكل، ولما تم تحديد مجموعة الحلول التي يمكن لها أن تكون فاعلة في السيطرة على مجموعة المشاكل تلك.. من هنا أصبح بالإمكان وضع مقترح لمشروع تخطيطي للمدينة ينطوي على بعض التفاصيل التصميمية على مستوى المخططات، الواجهات والمقاطع ليكون هذا المقترح بداية متواضعة لمشاريع مستقبلية يمكن لها ان تستند على هذا البحث .

حيث أوكلت مديرية التخطيط العمراني التابعة لوزارة البلديات والإشغال العامة الى المركز العالمي للأبحاث الفنية مشروع تحديث التصميم الأساس لمدينة كربلاء وناحية الحر لغرض تحديث التصميم الحالي ليكون مواكباً لتطور المدينة حتى نهاية سنة ٢٠٣٠، ووضع استراتيجيات تحدد عبرها المشاكل التي تواجه المدينة وحلول للتقاطعات الموجودة في الأقسام المختلفة من التطوير والتحديث لهذه المدينة، ان الغرض من هذه الدراسة و التخطيط ، محاولة لرفع مستوى مدينة كربلاء من وضعها الفعلي إلى أعلى المستويات الممكنة لتكون في مصاف المدن المتقدمة، وفي الوقت نفسه إعداد الدراسات ومن ثم التخطيط لحركة الزائرين من ساعة وصولهم إلى حدود التصميم ثم نقلهم إلى مركز المدينة من دون تقاطع بين هذه الحركة والحركة الطبيعية للمدينة وكذلك تأمين مراكز الخدمات والسكن الملائم والقسم التجاري لهؤلاء الزائرين . (<http://www.karbalaplan>) .

٣_٢_١ الفكرة التصميمية : بنيت الفكرة التصميمية على أساس المعطيات التي تم تشخيصها كمشاكل أساسية تعاني منها المدينة من خلال ما يأتي :

(١) محاولة إيجاد فضاء مهيم مركزي تنتهي إليه سائر فضاءات المدينة، بحيث يكون هذا الفضاء مستوعبا لصحني المرقدين الشريفين كصحن واحد كبير يضم المرقدين الشريفين بحيث يمكن في مناطق معينة إزالة جزء من السور المحيط بكلا المرقدين (هذا فيما لو تم الموافقة على مثل هذا الاقتراح وحتى في حال عدم الموافقة فان الساحة الوسطية تبقى رابطا قويا بين فضائي المرقدين الشريفين) لإضفاء حالة من التواصل الفيزيائي والبصري وبالتالي تعزيز الشعور بالسيطرة الفضائية بالنسبة للسائح او الزائر الواقف ضمن هذا الفضاء .

(٢) يرسم حدود ذلك الفضاء (الذي يحدد بمسقات ومناطق جلوس واستراحة بالنسبة للزوار والسياح) مجموعة أبنية ومنشآت ذات وظيفة تجارية في طوابقها السفلى كما تستخدم لأغراض السكن وإيواء السياح في الطوابق العليا ... وبذلك يمكن الحصول على فائدتين :

الأولى: تعبيرية (الشكل) / أ- حيث ستؤشر هذه الحالة تواسلا مع أسلوب تخطيط المدينة الإسلامية التي تنتهي فيها محور السوق بفضاء عبادات مهيم مركزي .

ب - محاولة إيواء السائح في اقرب جزء من المرقد بحيث يمكن له ان يشعر بحالة من التواصل مع محيطه الحضري وبالتالي تعزيز شعوره بالسيطرة الفضائية .

الثانية : وظيفية / حيث سيتم استثمار المساحة المحيطة بالمرقدين الشريفين (والتي يعرف عنها ارتفاع قيمتها المادية) بحيث توفر مردودا اقتصاديا جيدا للمدينة ناتجا عن وفورات السياحة الدينية . هذا على ان يتم تخطيط

هذه المنطقة وفق معطيات المدينة الإسلامية من خلال مراعاة محاور الحركة والمحاور البصرية ومبدأ فضاءات الحركة والاستقرار وعزل العام عن الخاص .. الخ ، كما يمكن استخدام المنطقة المتاخمة لكلا المرقدين لإقامة منشآت ذات طابع ديني كأن يكون إقامة مدرسة دينية أو حوزة علمية أو متحف يعرض فيه مجموعة النفائس والهدايا المقدمة إلى الضريحين أو حتى مكتبة دينية .

(٣) عزل حركة السابلة عن حركة السيارات مع محاولة إيصال الزائر أو السائح إلى اقرب نقطة من المرقدين الشريفين .

٣_٢_١_٢ المخططات:

يمكن ملاحظة ان المخطط رقم (٢ و ٣) أوجد فضاءا مهيمنا مركزيا يجمع بين الروضتين الشريفتين تؤدي إليه سائر فضاءات المدينة الأخرى ، كحل للمشاكل التالية ...

- ١_ حل لمشكلة البعد التعبيري ومفهوم السيطرة الفضائية(من خلال هيمنة فضاء المرقدين).
- ٢_ حل لمشكلة الاختلاط في استعمالات الأرض من خلال :
أ_خلق محاور تجارية (أسواق) تنتهي بالفضاء المركزي .
ب_ فصل السكن عن التجارة من خلال تخصيص الطوابق السفلى لأغراض التجارة والعليا لأغراض السكن (فصل عمودي).
- ٣_ حل لمشكلة الفضاءات المفتوحة المخصصة لممارسة الشعائر الدينية(وبالتالي تعزيز الشعور بالسيطرة الفضائية).
- ٤_ فصل حركة السابلة عن حركة السيارات إذ ان الفضاء المركزي عبارة عن مجموعة مواقف كبيرة للسيارات (في مستواه الذي هو تحت الأرض) بحيث تبدأ حركة السيارات تتفصل عن حركة السابلة في نقاط محددة مؤشرة على المخطط، وبذلك تكون المنطقة الوسطية مخصصة فقط لحركة السابلة، وعزل حركة السيارات تحت الأرض، مع إيجاد منافذ خروج متعددة (احدها رئيسي يقع في وسط الساحة)، إضافة إلى عدة منافذ للصعود إلى المستوى الأرضي واقعة في مناطق التسوق حول المرقدين)، وذلك لضمان الوصول إلى اقرب نقطة في المرقدين الشريفين سعيا إلى محاولة توفير أقصى خدمة وصول الى السياح، وخاصة كبار السن منهم .أن هذه الحلول كانت مبنية على وفق منهج المدينة الإسلامية في التخطيط المبني على أساس هيمنة فضاء العبادات، والفصل بين العام والخاص .. الخ ضمن رؤية مدرسة ما بعد الحداثة في التخطيط من خلال الاستلهام من الماضي وتوظيف تقنيات الإنشاء الحديثة وذلك يظهر جليا في ..(إنشاء مواقف السيارات تحت الأرض واستخدام مواد البناء وأساليب الإنشاء الحديثة .. الخ).
- إن مخطط الطابق الأرضي عبارة عن أنموذج لتخطيط جزء من المنطقة المحيطة بالمرقدين الشريفين (بحيث يمكن تكراره بشكل أو بآخر في باقي المشيدات المحيطة بالساحة الوسطية).



ويمكن ملاحظة محاولة تطبيق إشكال تخطيطية مستوحاة من المدينة الإسلامية (الفناء الوسطي، التدرج في الحركة، التدرج في الخصوصية.. الخ) . إن الطوابق العليا مخصصة لأغراض السكن وإيواء الزوار.. وبالعودة الى لغة الأرقام التي تفيدنا في معرفة مدى إمكانية توفير متطلبات المساحة المطلوبة وفق الدراسة سابقة الذكر (ص ١٣٩-١٤٢) ، يمكن ملاحظة ما يأتي :

- ١- الفضاءات المفتوحة = ١ ٠٠٠ ٠٠٠ م^٢
- ٢- فضاءات إيواء الزوار = ٥٠٠ ٠٠٠ م^٢
- ٣- مواقف السيارات = ٦ ٥٠٠ ٠٠٠ م^٢
- ٤- خدمات الزوار:
- أ- مرافق صحية = ٦٠ ٠٠٠ م^٢
- ب- أماكن الطعام = ٥٠٠ ٠٠٠ م^٢
- ج- أماكن إستراحة = ١ ٠٠٠ ٠٠٠ م^٢

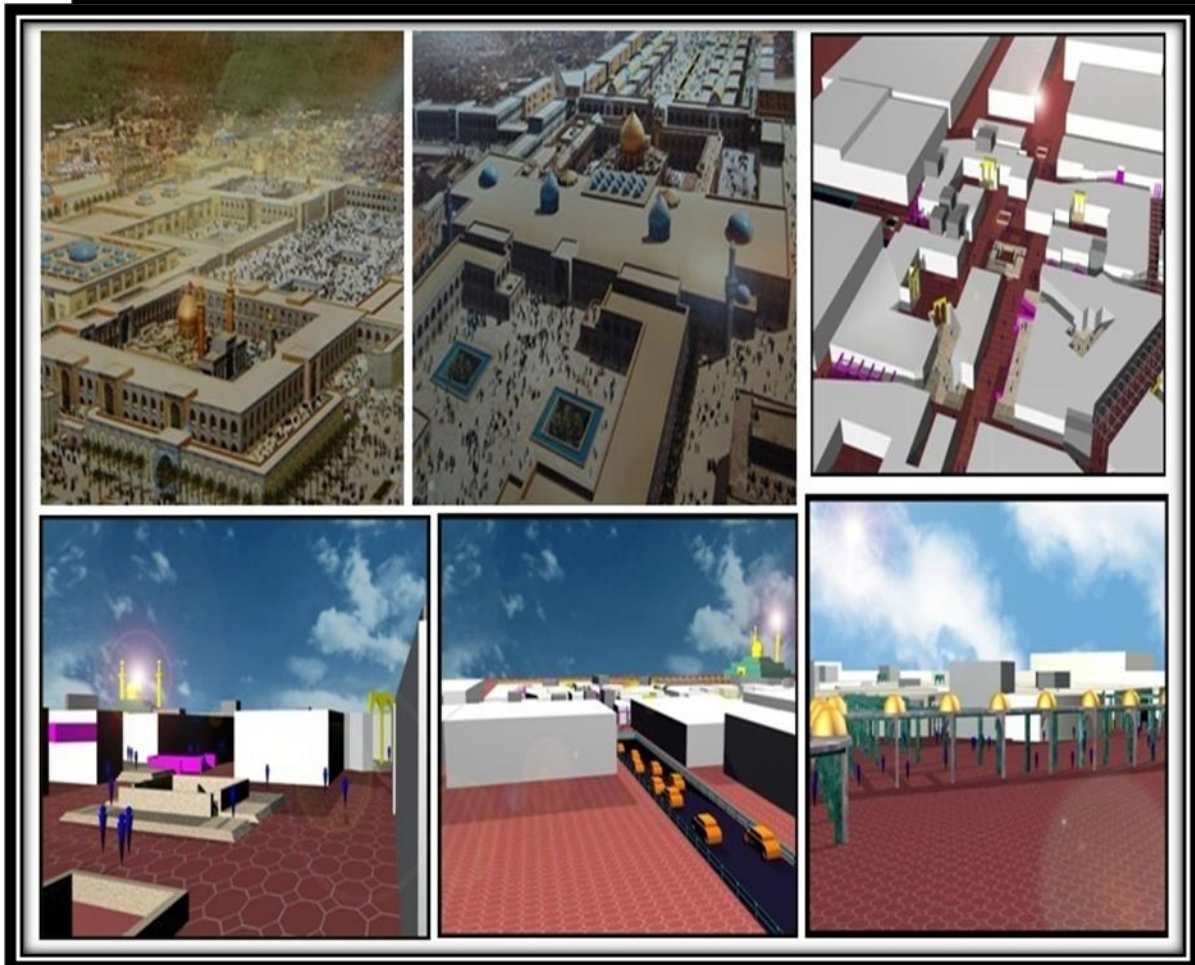
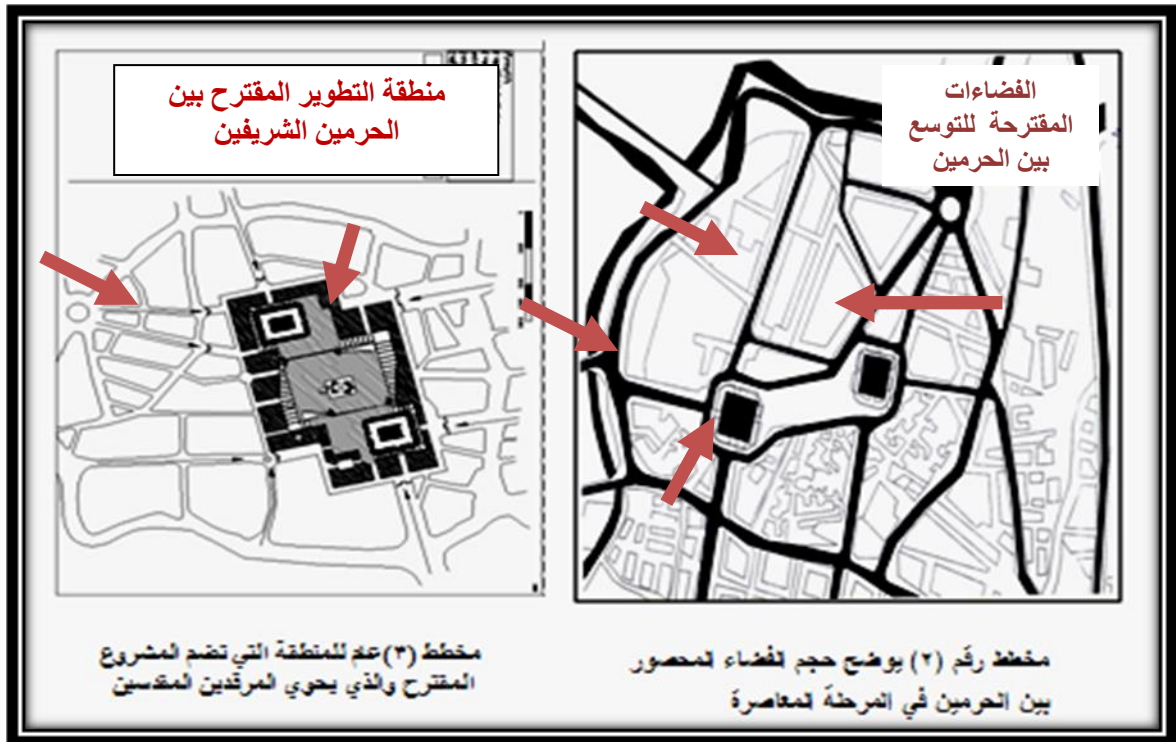
وعودة الى التصميم ، إذ يمكننا ملاحظة انه تم توفير :

- ١_ فضاء وسطي مفتوح على مستوى الطابق الارضي بمساحة تقدر بـ ١ ٠٠٠ ٠٠٠ م^٢.
- ٢- فضاءات مفتوحة ضمن المناطق (التجارية - السكنية) بمساحة تقدر بـ ٥٠ ٠٠٠ م^٢ .
- ٣- مواقف سيارات تحت الارض بمساحة تقدر بـ ٥٠ ٠٠٠ م^٢.
- ٤- خدمات للزوار بمساحة إجمالية تقدر بـ ٦٠ ٠٠٠ م^٢ .

ان توفير مساحات تشكل حوالي عشر المساحة المطلوبة وفق الدراسة آتفة الذكر سيساهم الى حد ما في حل المشكلة دون ان يحلها بالكامل حسب المخططات والمقترح.

٣_٢_٣_ الواجهات والمقاطع:

أما الواجهة فهي (كما المخطط) تمثل جزءا من الأبنية المحيطة بالساحة الوسطية .. وهي أيضا مصممة على وفق طراز المدينة الإسلامية مع محاولة استخدام أساليب إنشاء حديثة لمواكبة روح العصر. المقطع يبين مستويات الحركة (تحت الأرض، المستوى الأرضي، الأول ...) كما يبين منافذ الخروج الثانوية ضمن المنطقة المحيطة بالساحة الوسطية .. ومناطق وقوف السيارات تحت الأرض أيضا شكل (٨) .



شكل (٨) يوضح مجسمات المشروع في محاولة خلق نوع من المزج بين الأصالة والمعاصرة
م / (<http://iraqmotors.net>)

إن مشروع التصميم الأساسي الجديد وتطوير مركز المدينة الذي يشمل المنطقة الواقعة بين جامعي ومركدي الإمام الحسين وأخيه العباس (الروضتين الحسينية والعباسية) وما يحيطهما، حيث يحتل المركز من الناحية العمرانية موقعاً بارزاً ومتميزاً في هيكل وبنية مدينة كربلاء لقد كانت هذه المنطقة من ناحية الهيكل العمراني، قبل تدميرها ، بمثابة وحدة عمرانية متكاملة محورها الروضتان معاً. لكن هذا التمحور يأخذ بعداً شاملاً وعميق الجذور في نفس الوقت، نظراً لأن العلاقة بينهما تتجاوز البعد الخارجي أو الظاهري، لتصل إلى حد الترابط العضوي بينهما وإلى حد التكامل. وقد انعكست تلك العلاقة المحورية للروضتين ومحيطهما عمرانياً على مدينة كربلاء ككل .

أما من الناحية العمرانية، فإن الترابط العضوي بين عمارة الروضتين والمناطق المحيطة بهما يبدو حياً ودائم التفاعل بذاته في إطاره الخاص والشامل، فإذا كانت حيوية المنطقة الواقعة بين الروضتين وما يحيطهما، ناشئة من علاقتها بالروضتين، فإن مدينة كربلاء ككل تبدو أيضاً حيوية لعلاقتها بذلك المركز وهذا التفاعل يبدو واضحاً في كافة المجالات الاقتصادية والاجتماعية والثقافية والعمرانية:

أولاً : من الناحية الاقتصادية: كانت هذه المنطقة ، وإلى سنوات قريبة، عصب الحياة التجارية للمدينة بمظاهرها المختلفة التقليدية منها أو الحديثة، حيث كانت أنتشار الأسواق التي تزدهم بالزوار وسكان المدينة طيلة أيام السنة .

ثانياً : من الناحية الاجتماعية : كانت هذه المنطقة بمكانتها العريقة وتقاليدها المتوارثة تمنح مدينة كربلاء هويتها المحافظة، وكانت إلى سنوات قريبة مركز تجمع سكان المدينة ومحور حياتهم الاجتماعية .

ثالثاً : من الناحية الثقافية : كانت هذه المنطقة المتمثلة بالروضتين والمدارس الدينية والبيوتات الثقافية، تمنح كربلاء خصوصيتها كمدينة مفتوحة على تيارات الثقافات الخارجية (الفارسية والتركية والهندية مثلاً) وحتى على بعض الأفكار السياسية .

رابعاً : أما من الناحية العمرانية : وهو ما يهمنا بشكل خاص في هذا الفصل، فإن هذه المنطقة تعتبر قلب المدينة ومركز الحركة الرئيسية فيها والذي تنفرد منه جميع الشوارع والأسواق المهمة في المدينة.

فضلاً عن إلى عمارة الروضتين كانت المنطقة تضم أيضاً معظم الرصيد العمراني الذي تمتلكه مدينة كربلاء، والمتمثل في أبنية ذات قيمة عمرانية وحضارية وتراثية، كالمساجد والمدارس الدينية والحسينيات والمقامات والأسواق القديمة والقيساريات والخانات والبيوت التراثية. وعلى العموم فإن المنطقة كانت تمثل أصالة وحيوية الإرث الحضاري العمراني الذي تميزت به كربلاء عن غيرها من المدن الإسلامية الأخرى. لكن هذه المدينة تعرضت من الناحية العمرانية لأضرار جسيمة خلال السنوات الماضية، ولاسيما بعد عام 1991م إلى درجة يمكن القول معها بأنها، أو بعض مظاهرها الرئيسة على الأقل، مهددة بوجودها وإرثها التاريخي. وهي على العموم تعاني من مشاكل حادة تتطلب جهوداً حثيثة وحلولاً عملية لإعادة تخطيطها وتصميمها وصيانتها وترميم مبانيها. الدينية. والتراثية. المتبقية.

إن أبرز مشاكل مدينة كربلاء القديمة تتجسد في الواقع، بتحويل المنطقة (مركز المدينة) التي كانت غنية بالإرث العمراني لقرون عديدة، إلى ساحة واسعة تحيطها الفنادق والمحلات التجارية التي شيدت بدون دراسة عمرانية وتخطيطية مسبقة ، وذلك بعد أن أزيلت منها جميع الأبنية القديمة التي كانت تقع بين الروضتين وما حولهما. كما تعاني أيضاً في محيطها من حركة بناء عشوائي وهجين ينفذ حالياً، مما يهدد بتعريض المدينة القديمة إلى فقدان خصائصها العمرانية الأساسية والتي كانت تمنحها هويتها التاريخية والحضارية والدينية. إن هذه المنطقة تكتسب أهمية مركزية وذلك بسبب تدمير جميع مراكز الفعاليات التجارية التي كانت تنهض بها سابقاً، وإلى قرون عدة، والتي أكسبتها موقعها الخاص كنقطة التمركز في العلاقة الحيوية بين المدينة القديمة والمناطق المحيطة بها وخاصة الأحياء الجديدة. من هنا جاء تأكيدنا على الأهمية الكبيرة لإعادة إحياء مركز المدينة بوصفها الضمانة الجوهرية لإعادة إحياء تلك الفعاليات التي كانت تقوم بها الأسواق والقياسريات، لتكون من جديد نقطة ترابط المركز مع المناطق الأخرى من المدينة .

الاستنتاجات:

- ١_ الإرث الحضاري للمناطق التاريخية هو حاصل التجارب التاريخية والثقافية والروحية الموروثة من جيل إلى الجيل الذي يليه.
- ٢_ قدمت العمارة القديمة حلولاً انسجمت مع معتقدات وطرق أساليب الحياة من حيث التواصل والترابط الحضري فالتناصر الموجودة في المناطق التاريخية ترتبط ارتباطاً وثيقاً بالعادات والتقاليد والقيم الحضارية والدينية للمجتمع.
- ٣_ المراكز التاريخية للمدن العربية عموماً والعراقية خاصة بدأت تفقد خصائصها الحضرية وملامحها العمرانية نتيجة اقتباس المفاهيم الحضرية الغربية وإقحامها بشكل قسري على الهيكل الحضري لها وتمزيق النسيج وإنشاء أبنية حديثة ذات أطوار غريبة فضلاً عن سوء الاستعمال وعدم الصيانة والإهمال.
- ٤_ لعب العامل الديني دوراً مهماً في ظهور مدينة كربلاء وتشكيلها، فقد نمت المدن بفضل التراكمات الثقافية الدينية التي عمل الإنسان على خلقها وبالتالي خلق هذه المدن.
- ٥_ مرت مدينة كربلاء بمراحل عديدة ومنعطفات مختلفة منذ نشوئها حتى يومنا وتركيبها العمراني وكانت ثلاث مراحل مهمة الأولى هي مرحلة النشوء التي تميز النسيج الحضري فيها بالعضوية واعتماده مبدأ الانفتاح نحو الداخل أما المرحلة الثانية فحدث توسع بالمدينة وزادت مساحة الاستعمال التجاري نتيجة لشق الشوارع الخطية أما المرحلة الثالثة فحدثت توسعات كبيرة وتميزت توسعاتها باعتمادها النظام الشبكي بسبب الهدم والإزالة التي تعرض لها النسيج .
- ٦_ لا بد ان يكون هناك أسلوب خاص في التعامل مع مدينة كربلاء من الناحية التخطيطية كونها تحمل أبعاداً تعبيرية وراثية حضارياً وواقعاً خاصاً .

توصيات:

- ١_ ضرورة الحفاظ على الشكل العمراني للحفاظ على التراث الموجود والعمل على تطويره وتوفير الخدمات اللازمة لهذه المناطق مع الحفاظ على الطابع المعماري المميز .
- ٢_ إيجاد برامج للتوعية ورعايتها على كافة المستويات كافة من أجل ضمان نجاح عملية الإحياء والتجديد.
- ٣_ تأسيس بنية تحتية للسياحة في مدينة كربلاء، وإيجاد خطوط سياحية تغطي كافة المناطق التاريخية، واستمرار مرودها المادي في الحفاظ على التراث التاريخي من أجل الاستفادة منها وتطويرها.

٥_ تحديث التصميم التطويرية لمدينة كربلاء بشكل عام والتركيز على وضع تصميم لمركز المدينة (المدينة القديمة) يهدف لتطوير المنطقة وفق معايير عمرانية تتناسب وأهمية هذه المنطقة ويساعد على إعطاء حلول جذرية لمشكلات المنطقة وعلى مدى طويل إي لا تكون حلول وقتية .

المصادر :

- ١_ الاشعب، خالص، "مدينة بغداد - نموها، بيئتها، تخطيطها"، الموسوعة الصغيرة ١٠٨، دار الحرية للطباعة، بغداد، ١٩٨٢، ص ٩.
- ٢_ الطائي، اياد عاشور، "تخطيط المدن في المغرب العربي دراسة تراثية حتى مطلع القرن الرابع الهجري"، ط دار دجلة، عمان الاردن، ٢٠١٠.
- ٣_ الحزيمي، محمد احمد، "النمط المعماري للمدن الاثرية في الوطن العربي_ دراسة مقارنة_المؤتمر الهندسي ٢"، كلية الهندسة، جامعة اليمن، مارس ٢٠٠٩، 2010، visit date www.alhziyyeme.
- ٤_ ابراهيم، عبد الباقي، "التراث الحضاري في المدينة العربية المعاصرة"، مركز الدراسات المعمارية والتخطيطية، مطبعة مصر الجديدة، القاهرة، جمهورية مصر العربية، ١٩٦٨.
- ٥_ غليون، برهان، "التغيير المكاني_ الاجتماعي، ملاحظات حول أزمة المدني في المتوسط الشرقي"، مجلة (الفكر العربي المعاصر)، مركز الانماء القومي، بيروت، العدد ٣٩ (آيار - حزيران) ١٩٨٦، ص ٥٠-٥٣.
- ٦_ كمونة، حيدر، بحث بعنوان "أهم العناصر التخطيطية والمعمارية لمكونات المدينة العربية القديمة"، بغداد مركز إحياء التراث العلمي والعربي، ١٩٨٨، ص ١.

7_ www.Faculty of Engineering, Al-Azhar University, Cairo, Egypt. All rights reserved 2007. visit date: june 2010.

- ٨_ الدوري، فراس عبد الحميد، "التجديد الحضري في مراكز التاريخية للمدن العربية الإسلامية"، أطروحة ماجستير مقدمة إلى مركز التخطيط الحضري والإقليمي، جامعة بغداد، ١٩٨٨ م.
- ٩_ العاني، محمد قاسم، "الحنين الى الماضي بين الفكر النظري و واقع التطبيق اثر الفكر و التشريع في تواصل مراكز المدن التاريخية"، رسالة ماجستير، قسم الهندسة المعمارية، جامعة بغداد، ٢٠٠١.
- ١٠_ علام، احمد خالد، وآخرون "تجديد الإحياء" مكتبة ألأتجلو مصرية 1997 م.
- 11_ تحديث التصميم الأساس لمدينة كربلاء المقدسة والحر-المركز العالمي للأبحاث الفنية-الموقع الإلكتروني http://www.karbaplan.com VISIT DATE SEPTEMBER 2009



- ١٢_ القرغولي، مصطفى عبد الجليل "دراسة وتحليل التفاعل الوظيفي بين استعمالات الأرض الحضرية - دراسة تحليلية ميدانية مقارنة بين مدينتي النجف الأشرف وكربلاء المقدسة باستخدام نظم المعلومات الجغرافية GIS " اطروحة دكتوراه مقدمة الى المعهد العالي للتخطيط الحضري والأقليمي - جامعة بغداد - ٢٠٠٤ .
- ١٣_ طعمة ، سلمان هادي " دليل كربلاء المقدسة " دار المرتضى - الطبعة الأولى - ٢٠٠١ .
- ١٤_ الأنصاري ، رؤوف محمد علي " عمارة كربلاء - دراسة عمرانية وتخطيطية - مؤسسة الصالحاني للطباعة - دمشق - الطبعة الأولى - ٢٠٠٦ .
- ١٥_ نصر الله ، رشا مالك محمد صادق " اثر تغيير انظمة مسارات الحركة في استعمالات الأرض في المركز التقليدي لمدينة كربلاء "، رسالة ماجستير مقدمة الى المعهد العالي للتخطيط الحضري والأقليمي - جامعة بغداد - ٢٠٠١ .